سُنّةُ التّعميمِ وَمواردُ جريانها في القرآنِ الكريم والسُّنةِ المُطَهّرةِ

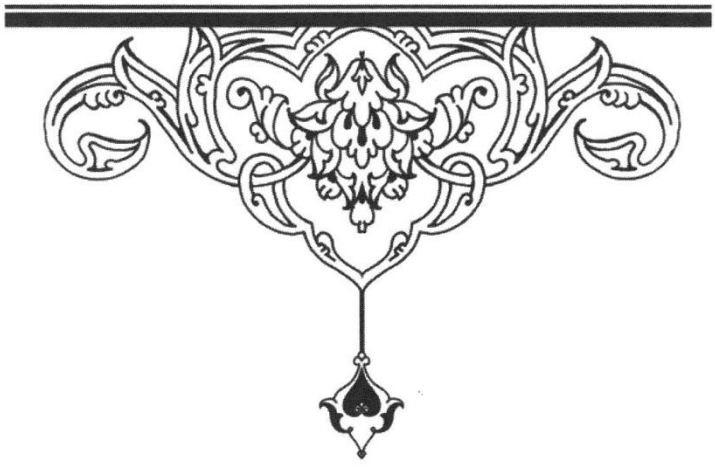

أ.م.د. محسن كامل غضبان
جامعة الكفيل- كلية القانون

سُنَّةُ التَّعميمِ وَموارِدُ جريانـها في القرآنِ الكريم والسُّنـةِ المُطَهَّرةِ

أ.م.د. محسن كامل غضبان
جامعة الكفيل- كلية القانون

ملخص:

تناول هذا البحث واحدة من اهم السنن التاريخية في القرآن الكريم ذات العلاقة المباشرة بتاريخ وجود الإنسان، وهي: (سنَّة التعميم)، واستعرض عواملها المؤثر في نواميس البشرية، وموارد جريانها، وقد استعرض أيضاً على هامش دراسة هذه السنة أهمية دراسة السُنَنِ الكونيَّة والتاريخية في حياة الإنسان، من منطلق أنها تَمْنَح الإنسانَ القُدْرَةَ على تحليلِ الأحداث، وقراءَةِ المُستَقْبَل، وتَقْييمِ الواقع تقييماً علمياً بحكم الترابطِ الوثيق بينَ المجتمعات البشرية والسُّنَنِ الربّانيَّة في القرآن الكريم.

وبين أنَّ (سنة التعميم) تأتي في صدارة السنن الربانية من حيث تأثيرها في سلوك الإنسان، لأنها تعمل على ربط الماضي بالحاضر بفعل تأثير عامل الرضا والسخط، فالرضا ينزل الراضي بمنزلة الفاعل وإنْ كان الراضي أمةً أو أُممٌ متفرقة، والسَخَطُ يَفْصِلُه عمَّن أبغضه ولو كانوا من أهل بيته، وقد تقرر ذلك من خلال جملة من الآيات القرآنية، أكدت بمجموعها أن الأمة من مقولة الكيف لا من مقولة الكم فحسب، بمعنى أنَّ الأمة عبارة عن حياة اجتماعية تمثِّلُ حالة من التمازج بالأفكار والعواطف والمشاعر.

كما أن استعرض البحث جملة من الموارد التي تجري فيها سنة التعميم في الأمم والمجتمعات، إذ بين أنها تجري في: تعميم الإدانة والمسؤولية، فهي تحمِّل الحاضرين مسؤولية افعال السابقين، وتجري في تعميم: العقاب، فما عُوقب بها الأولون يعاقب به

الآخِرون، وتجري في تعميم: الثواب، فللآخرين نصيب من ثواب الأولين، وتجري كذلك في تعميم: الحجة وإقامة البيِّنةِ، بمعنى أنَّ النبي المتأخر يلزم اتباع غيره من الأنبياء نفس الحجة التي ألزموهم بها في عهود خلت.

الكلمات المفتاحية:(سنة التعميم.الرضا والسخط. وحدة المصير .مقولة الكيف).

Sunni Al-Taim and the light of currents in the Holy Qur'an and holly sunnah

Doctor: Mohsin Kamil Ghdhban

Al-Kafil University / All Laws

Abstract :

This is the only time I have discussed the history of the Sunnah in the Holy Qur'an, the essence of the creation of mankind, with the history of the existence of man, and it is: Al-Nansan, I think that the interpretation of Al-Ansan Al-Qadr is based on the analysis of the construction, and the acceptance of the previous, and the fact that it is true, and it is almost certain that the authentic relationship between human relations and the Sunni language is in the Holy Qur'an.

According to the Sunnah of Ta'mim, it is permissible in the case of Sunan al-Rabbaniyyah in terms of its effects on the conduct of human beings. people Byth, Vqd version less apt me during the sentence I Alay Alqranyh, Kdt Bmjmvha lodging it umma I category Alkyf La I category Elkaam Fhsb, means lodging it umma words as Hyahtyhh Alth implementation Coma lodging it Astrz research and sentence me Resource and Facing courage therein St. circular advertisement Alamm, Bynz between them courage fi: generalized

Aladanh Valmsvvlyh, Fahey imposed Alhazyn responsibility Altygh Alzr: Alsvab, Fllakhryn earned me the reward Alavlyn, Vtjry Kazlak per generalization: Alhjh Vaqamh Albynh, In other words, the Prophet, may God bless him and grant him peace.

توطئة :

اقْتضَتْ الحكمة الإلهية أنْ يكونَ لهذا الكون سُنَنٌ وقوانينُ تَحكُمُه وتَعملُ على تماسك أجزائه، وبما أنَّ الإنسان أحدُ أهم أجزاء هذا الكون فلا بدَّ ـ والحال هذه ـ من أن تكونَ له قوانين وسُنَن خاصَّة به، لذا عُنِيَ القرآن الكريم بتبيان السُنَن ذات العلاقة المباشرة بتاريخ الإنسان، مثل: سُنَّة (الإهلاك)، وسُنَّة (الاستبدال)، وسُنَّة (الاستخلاف)، وغيرها.

فمحاولات ترسيخ عبادة الأوثان، ونقض العهود والمواثيق، وقتل الأنبياء، تستوجب إعمال سُنَّة (الإهلاك)، المتمثلة بالاستئصال، أو الخسف، أو الإغراق، وغيرها مما أُجْمِل في قوله تعالى: **{فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ}**(١).

وفقدان الإنسان لِهَدَفِه في الحياة، وتخلِّيهِ عنْ مسؤولياته يستوجب إعمال سُنَّةَ (الاستبدال)، لذا قال تعالى: **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الأَرْضِ أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ قَلِيلٌ ، إِلاَّ تَنفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَاباً أَلِيماً وَيَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ وَلاَ تَضُرُّوهُ شَيْئاً وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}**(٢).

وكنتيجةٌ طبيعيةٌ لسُنَّة (الاستبدال) تأتي سُنَّة (الاستخلاف) بدلالة قوله تعالى: **{وَرَبُّكَ الغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُم مَّا يَشَاءُ كَمَا أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ آخَرِينَ}**(٣)، وهي سُنَّةٌ تقوم على أساس أداء وظيفةٍ أُنيطت بالمستخلفين، تَجلَّتْ في قوله تعالى: **{الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ**

وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ}[٤]، وما إلى ذلك السُّنَنِ الإلهية التي تَحْكُمُ الوجود بأسره.

وتأتي أهمية دراسة السُّنَنِ الكونيَّة من منطلق أنّ الله تعالى أمرَ بالاتعاظ من سُنَنِهِ في الأُمم السابقة، قال تعالى: **{قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ}**[٥]، ولا شكَّ أنّ الإنسان إذا تَمعَّنَ في هذه السُّنَن حَصلَ له من العلم ما يُمَكِّنُهُ من تحليل الأحداث، وقراءة المستقبل، وتقييم واقع الأحداث تقييماً علمياً؛ لأنَّ معرفة السُنَنَ الكونية والأخذ بأسبابها يحقِّقُ الفلاح في الحياة الدنيا إذا أحسن الإنسانُ استثمارها لصالحه.

من هذا المنطلق حاول هذا البحث جاهداً الوقوف على واحدةٍ من أهم السُنن الإلهية في القرآن الكريم ألا وهي سُنَّة (التعميم) وذلك نظراً للخاصيّة الفريدة التي تَتَمتَّع بها، فهي تجري في كلِّ آنٍ وَحين، وتَعملُ على الوصل الفصل بين الناس، فتجعل من المجتمعات والأُمم أمَّةً واحدةً وإن باعد بينها الزمان، وَتَعْمَد إلى أفراد الأُسرة فتشطرهم إلى شطرين لا يلتقيان، فهي سنةٌ عابرةٌ لحدود الزمان والمكان.

وبهدف الوقوف على ماهيَّة هذه السُّنَّة وحقيقتها، وَمَعرفَة عواملها، وموارد انطباقها وجريانها، واستشراف مستقبلها، جاءت هذه الدراسة بـ: تمهيد ومبحثان، تناول التمهيد: (مفهوم السُّنَّة ومفهوم التعميم)، واستعرض المبحث الأوَّل: (عوامل سُنَّةِ التعميم وأثرها في تخصيص الفعل وتعميم الأثر)، فيما تناول المبحث الثاني: (موارد جريان سُنَّة التعميم في القرآن الكريم والسنة المطهرة)، ثم ذيل البحث بخاتمة تضمنت أهم النتائج التي تَوَصَّل إليها الباحث، تلتها قائمة المصادر والمراجع.

التمهيد

(مفهوم السُّنَّةِ ومفهوم التعميم)

أولاً: السُّنَّة في اللغة:

يستفاد من اطلاق لفظ (السُّنَّة) معاني عدَّة، فتطلق ويراد بها الوجه إذا كان مصقولاً وأملساً، فالوجه المسنون هو الوجه المخروط الأسيل كأنه قد سُنَّ عنه اللحمُ، وسُنة الوجه دوائره، وسُنَّة الوجه صورته، لذا قال الشاعر:

تُرِيكَ سُنَّةَ وَجْهٍ غَيْرَ مُقْرِفَةٍ مَلْسَاءُ لَيْسَ بِهَا خَالٌ وَلاَ نَدَبُ[٦]

وقال الاعشى:

كَرِيماً شَمَائِلُهُ مِنْ بَنِي معَاوِيَةَ الأَكْرَمِيْنَ السُّنَنْ[٧]

والسُّنَّة الطريقة، قال الراغب: "سُنَّة النبي k طريقته التي كان يتحراها، وسُنَّة الله عزَّ وجل قد تقال لطريقة حِكْمته وطريقة طاعته"[٨]، وتطلق السُّنَّة ويراد بها السيرةُ حسنةً كانت أو قبيحةً[٩]، قال الشاعر:

قال فَلا تَجْزَعَنْ مِنْ سيرةٍ أَنتَ سِرْتَهَا فَأَوَّلُ راضٍ سُنَّةً مَنْ يَسِيْرُهَا[١٠]

ثانياً: السُّنَّة في الاصطلاح:

للسُّنَّة في اصطلاح العلماء معاني عدَّة، وذلك بحسب الأغراض التي اتجه إليها العلماء، فغرض علماء الفقه البحث عن الحكم الشرعي المتعلق بأفعال المكلفين وذواتهم، بمعنى أنَّهم ينظرون إليها من جهة دلالتها، فهي عندهم: "ما ثَبَت طلبه بدليلٍ شرعي من غير افتراض ولا وجوب[١١]، فيكون معناها: الطريقة المتبعة في الدين، قال الجرجاني في التعريفات: "وفي الشريعة هي الطريقة المسلوكة في الدين من غير افتراض وجوب"[١٢].

وغرض الأصوليين البحث عن المصادر الشرعية للأحكام الشرعية، فهي عندهم تعني: أقوال النبي ﷺ، وأفعاله، وتقريراته، التي يتوصل بها إلى الحكم الشرعي[١٣]، أما أقواله وأفعاله وتقريراته في الجانب السلوكي والشخصي والصفاتي فغير داخلة في مفهوم السُّنَّة عندهم؛ لأنها لا تُوصِلُ إلى الحكم الشرعي.

وغرض المحدثين البحث عن رسول الله ﷺ بوصفه القدوة المثلى والمثل الأعلى الذي يحتذى به، فهي عندهم: "ما أثر عن النبي ﷺ من قولٍ أو فعلٍ أو تقرير أو صفةٍ خَلْقيَّةٍ أو خُلُقيَّة أو سيرةٍ سواء كانت قبل البعثة أو بعدها، وهي بهذا التعريف ترادف الحديث عند بعضهم"[١٤]، بمعنى أنَّهم ينظرون إلى السُّنَّة من جهة ثبوتها عن النبي ﷺ.

وللسُّنَّة معنىً آخر في اصطلاح الوعّاظ والخطباء، فهم يريدون بها ما يقابل البدعة، فمن عمِل بما يوافق الشرع يُقال عنه جاء بالسُّنَّة، ومن عمِل على خلاف السُّنَّة يُقال

عنه جاء ببدعة، ولهذا ورد في استعمالات الفقهاء في موضوع الطلاق: استعمال مصطلح الطلاق (السني والطلاق البدعي).

رابعاً: معنى السُّنَّة في القرآن الكريم:

ورد لفظ السُّنَّة في القرآن الكريم في مواضع عدَّة، توزَّعت على انحاءَ وصيغٍ مختلفة، فجاءت بصيغة المفرد في أربعة عشر موضعاً، وجاءت بصيغة الجمع في موضعين، وجاءت بصيغة المضاف والمضاف إليه عشرة مواضع تسعةٌ منها مضافة إلى الله تعالى، وموضع واحد مضاف إلى الرسل عليهم السلام، وجاءت منكرة ومجردة عن الإضافة في موضع واحد.

ويَتَحصَّل من ملاحظة تلك الصيغ عدَّة معاني لمفهوم السُّنَّة منها: (الطريقة الحميدة للأمم والمجتمعات) وهو المعنى المراد في قوله تعالى:**{يُرِيدُ اللَّـهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّـهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ}**[١٥]، ومنها: (العادة المألوفة والمتبعة في طريقة التعامل مع الأمم والأقوام في حال الطّاعة والمعصية)، وهو المعنى المشار إليه في قوله تعالى: **{قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ}**[١٦]، وفي غيره من الآيات المباركة، وهو المعنى الذي يروم البحث التحقق منه.

ثالثاً: التعميم في اللغة:

التعميم اسم مفرد، والجمع تعميمات أو تعاميمُ، من عمَّمَ يُعمِّمُ تعميماً، فقولنا: عَمَّمَ الشيءَ إذا جعله عامًّا، والعامة ضدّ الخاصة، وعمَّم الكلمة إذا أشاعها، وعمَّم الأحكام أطلقها على الجميع، وعَمَّ الشيءُ عُموماً شَمَلَ الجَماعَةَ، يقالُ: عَمَّهُم بالعَطِيَّة[١٧].

ويقال للفَرَسُ الأَبْيَضُ الهامَةِ دونَ العُنُقِ (مُعمَّم) إذا ابْيَضَّتْ ناصِيَتُه كُلُّها ثم انْحَدَرَ البَياضُ إلى مَنْبِتِ الناصِيَةِ، بمعنى أنَّ البياض عمَّ كلَّ هامته، ومن هنا يقال للرجل الذي لبس العمة (معمَّم) لأن العمامة استوعب كلَّ رأسه واحدقت به من كلِّ الجهات[١٨]، والعام في اللغة: هو الشمول، يُقال: مطرٌ عام أي مشتمل لأمكنته[١٩].

رابعاً: التعميم اصطلاحاً:

يختلف المصطلح العلمي بعض الاختلاف في دلالته بين العلوم ـ بحسب الوظيفة التي توكل له ـ فيسوِّغه بما يتفق مع وظيفته العامة، وقد وَرَدَ مصطلح العام ومعه مرادفاته من نحو العوم، والتعميم، والشمول، غير أنَّ هناك بعض الفروق الدلالية بينها، يمكن استجلاؤها من خلال استعراضنا لهذه المصطلحات المترادفة:

والعام في الاصطلاح: كل ما يتناول افراداً متفقة الحدود على سبيل الشمول، ويعرَّف أيضاً بأنَّه: كلُّ ما صحَّ الاستثناء منه ما لا حَصْرَ فيه فهو عام للزوم تناوله للمستثنى[٢٠]، وقد عرَّفه المناطقة تبعاً لمذهبهم بأنَّه: كون أحد المفهومين اشتمل افراداً من المفهوم الآخر بأن يصدق عليه الآخر ويسمى عموماً مطلقاً، أو عاماً مطلقاً، أو كلياً[٢١]، والفرق بين العام والكلي هو: أنَّ الكلِّيّ يستغرق كل أفراد نوعه كالإنسان، أما العام فهو يستغرق جميع ما يصلح له، يَتَناول الجماعات دون الأفراد، ويَصِحُّ فيه الاستثناء، نحو قولنا: اضرابٌ عام أو تعبئة عامة[٢٢].

في حين نجد أنَّ التعميم يختلف عنه في بعض الأمور، وذلك أنَّه "جمعُ الصفات المشتركة بين الأفراد، والمتشابهة في تصوّر واحد له ما صَدَقَ، وهو مجموع الصفات المشتركة لكلِّ أفراد العائلة"[٢٣]، لذا تعدَّدت التعميمات، فهناك تعميمات استقرائية: التي تُمَثِّل القوانين المستخلصة من التجارب، وتعميمات كلِّية: التي تُمثل الصور الرمزية لجملة عامة مثل: (كلُّ الأشياء مادية)، وتعميمات وجودية: كالصور الرمزية لجملة عامة، مثل: (بعض الأشياء مادية)[٢٤].

إذن نستنتج من مما سبق أنَّ العام: لفظٌ دالٌ على جميع أجزاء ماهيَّته، وهو يقابل الخاص، الأمر الذي يعطي اللفظ دلالة واسعة في الاستخدامات العلمية والتجريبية، وذلك أنَّ صياغة القواعد والقوانين العلمية تعدُّ ضرباً من التعميم؛ لأنَّها لا تختصُّ بفئة معينة من أفراد الأسر دون غيرها، بل هي صيغة شاملة لكلِّ خصائص تلك الأسرة، لذا سيكون المصطلح العلمي معبراً عن ماهيَّة تلك الجماعة.

المبحث الأول

(عوامل سُنَّةِ التعميم وأثرُها في تَخْصِيص الفِعْلِ وتَعْميم الأثر)

مدخل:

لا بدَّ الإنسان منْ أنْ يَرسِمَ لحياته طريقاً خاصاً ومنهجاً واضحاً، إذ لا يُمكن بحال من الأحوال أن يكون فوضوياً غير مكترثٍ ولا مبالٍ لما تؤول إليه عاقبةُ أمره، بوصفه يحمل دوافعاً وطموحات جُبِلَ على بعضها تُحتِّمُ عليه أن يختار الطريقة التي تتناسب مع دوافعه طموحاته وتطلعاته وأغراضه في الحياة، فينبغي ـ والحال هذه ـ إمّا أنْ يكون من أهل الإيمان وإمّا أن يكون من أهل الكفر، الأمر الذي يدفع به إلى عدم مسايرة الآخرين في عقائدهم، وهذا لا يتمُّ إلّا باعتماد ميزان التولي والتبري، الذي يعدُّ من المفاهيم المهمة في حياة الفرد والجماعة، بل من أهم الواجبات الدينية والشرعية لا سيما في الفكر الشيعي الإمامي[٢٥]، بل من الركائز الأساسية والمحورية التي يبتني عليها الإيمان، فلا يَصُحُّ إيمان عبد ما لم يتولى أولياء الله ويتبرى من اعدائه، قال تعالى: **{لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}**[٢٦]، أي لا يتحد الإيمان مع مولاة اعداء الله تعالى وأعداء رسوله k ولو كانوا من الآباء والأبناء.

وينطوي مفهوم التولي والتبري على مراتبَ ومصاديقَ كثيرة، وموارد وأنحاء مُهمَّة، يأتي في صدارتها مفهوم السخط والرضا الذي يُعدُّ العامل الأساس في سُنَّة التعميم، والمرتكز الذي ترتكز عليه، فإنْ لم يتحقَّق هذان العنصران: الرضا والسخط فلا أثر ولا فاعليَّةَ لتلك السُّنَّة الربانيَّة، لذا ينبغي التعرُّف على حقيقة هذين العنصرين، وعلى طبيعة تأثيرهما في هذه السُّنَّة الكونية:

أولا: أثرُ الرضا والسَخَط في وحدة المصير الاجتماعي:

يُسْتَشَف من بعض آيات الكتاب العزيز أنَّ الفردَ يكسب ماهيَّةً جديدةً غير ماهيَّته الفرديـة، هـي الماهيَّة الاجتماعيـة، فثمَّةَ تركيباً ومزجاً بين الشؤون الفكريـة والروحيـة والعاطفيـة للأفراد، ونتيجـةً لذلك تُحدث حالـةً من التفاعل والتأثر والتأثير بين أفراد المجتمـع، فيتحـول عنـدها إلـى روحٍ اجتماعيـة واحـدة، وشـعورٍ واحـدٍ، وإرادة واحـدةٍ، فتكون غالبةٌ على الشعور الفردي(٢٧).

فالقرآن يرى أنَّ للمجتمعات البشرية عملاً واحداً وطاعة واحدةً وعصياناً واحداً كنتيجة طبيعة لعملية التأثر والتأثير والتفاعل الاجتماعي(٢٨)، وهذا يدلُّ على أنَّ القرآن الكريم يؤيد وجود نوع من الحياة للمجتمع هي الحياة الاجتماعية، ووجود موت للمجتمع هو الموت الاجتماعي، وهو المراد بقولـه تعالى: **{وَلِكُلِّ أُمَّـةٍ أَجَـلٌ فَـإِذَا جَـاءَ أَجَلُهُـمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ}**(٢٩)، فالآية تتحدث عن الموت الاجتماعي والحياة الاجتماعية دون الافراد، وقال تعالى: **{وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ}**(٣٠)، فصحيفة الأعمال بحسب دلالة الآية لا تختصُّ بالفرد بل بالمجتمعات، وعليه فلكل مجتمعٍ حياة وعمل، ولكلِ مجتمعٍ صحفٍ واعمالٍ وكتابٍ.

كما أنَّ لكل أمةٍ شعوراً وعواطفَ وأسلوباً واحداً في التَّفكُّر، قال تعالى: **{كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}**(٣١)، ففي الآية المباركة إشارة إلى أنَّ لكلِ أمةٍ شعوراً واحداً، وأُسلوباً واحداً في التفكير، وهذا يقتضي أن يكون للأمَّة إرادةٌ واحدةٌ، لذا قال سبحانه: **{وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّـةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ}**(٣٢)، فالآية تتحدث عن إرادة سوء اجتماعية لمعارضة الرسول ﷺ، وما جاء به من ربِّه، ثم تُقرِّر الآية المباركة حكماً مفاده: أن جزاء هذه الإرادة الجماعية هو العقاب الجماعي(٣٣)، وهذا العقاب يتوقف على وجود عامل الرضا والسخط الذي يجمع أفراد النوع الإنساني بطاعة واحدةٍ، ومعصيةٍ واحدةٍ، وكتابٍ واحد، وإرادةٍ واحدة، وقد تكلَّم الإمام أمير المؤمنين عليه السلام عن هذه الحقيقة منذ الفجر الأول للإسلام، فقال: "أيها الناس إنَّما

يجمع الناس الرضا والسخط"[٣٤]، لكن ينبغي الوقوف على حقيقة هذين العاملين لمعرفة حدود مساحة تأثيرهما في هذه السُنَّة الربانية.

ثانياً: نطاق تأثير عامل الرضا والسخط في وحدة المصير:

لا يمكننا القول إنَّ مطلق الرضا والسخط يكون مقياساً لوحد المصير في المجتمعات من دون النظر إلى مساحة تأثيره في الإرادة والتصميم والعمل، فمُجَرَّد الرضا بالفعل القبيح مثلاً لا يعدُّ ذنباً ما لم يَكُنْ مؤثراً في إرادة المجرم، فالدائرة الاجتماعية عندما تتلقى الذنب أو مطلق الفعل بالقبول والرضا تكون بذلك قد باركت العمل وحسَّنته في نفس الفاعل، الأمر الذي يُعطي للفاعل جرعةً إضافية من العزم والتصميم، ويحفِّزُه نحو العمل، ويُعطيه إرادةً وتصميماً على فعل المزيد، وعليه فإذا قام فردٌ معينٌ من أفراد المجتمع وكان عَمَلُهُ وَتَصْمِيمُهُ وإرادته جزءً من تصميم وإرادة محيطه الاجتماعي عُدَّ ذلك ذنباً اجتماعياً تؤاخذ عليه الأمة بأسرها من منطلق رضاهم الباعث على الفعل، وهذا هو المعنى المراد من قوله تعالى: **{فَعَقَرُوها فَأَصْبَحُوا نادِمِينَ}**[٣٥]، فنُسِبَ العقرُ إلى الجميع مع أنَّ العاقرَ واحدٌ لرضاهم بفعله[٣٦].

كما أنَّه ذاته المراد من كلام الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في تفسير الآية المباركة: "أيها الناس إنَّما يجمع الناس الرضا والسخط، وإنَّما عقر ناقة ثمود رجل واحد فعَمَّهم اللَّه بالعذاب لمّا عمُّوهُ بالرضا، فقال سبحانه: **{فَعَقَرُوها فَأَصْبَحُوا نادِمِينَ}**[٣٧]، فما كان إلاّ أن خارت أرضهم بالخَسْفَةِ خوارَ السكّة المحماة في الأرض الخوّارة"[٣٨]، وهذا يعني أنَّ الرضا يدخل الإنسان في عمل غيره إذا كان رضاهم مؤثراً في إرادته، وباعثاً نحو فعله، وقد أكَّد عليه السلام هذا المعنى في حديثٍ آخر إذ قال: "الراضي بفعل قومٍ كالداخل فيه معهم، وعلى كلٍّ داخل في باطل إثمان إثم العمل به وإثم الرضى به"[٣٩].

فالرضا الباطني في الفعل والارتباط به عاطفياً ينزل الراضي بمنزلة الفاعل وإن كان الراضي أمةً أو أُممٌ متفرقة، قال الشيخ ناصر مكارم الشيرازي في تفسير قوله تعالى: **{فَعَقَرُوها فَأَصْبَحُوا نادِمِينَ}**: "وفي الواقع فإنَّ التآمر على هذا العمل لم يكن له جانب فردي، وحتى ذلك الذي أقدم على عَمَله لم يكنْ مُعْتَمداً على قوَّته الشخصية فجميعهم

كانوا مرتاحين لعمله وكانوا يسندونه، ومِنَ المُسلَّم أنَّه لا يمكن أن يُعدَّ هذا العمل عملاً فردياً بل يُعدُّ عملاً جماعياً"[٤٠]، وهذا يؤكد حقيقية ما تناوله البحث فيما مرَّ من الكلام: من أنّ الدائرة الاجتماعية عندما تتلقى الذنب بالقبول والرضا ويكون مؤثراً في إرادة الفاعل فإنَّ الذنب يسند إلى الجميع، وعليه يكون عامل الرضا والسخط هو عامل الوصل والفصل بين الأمم والجماعات، فإذا رضي الإنسان بفعل قومٍ أُشرِكَ في عملهم، فإن كان خيراً أثيب به وإن كان شراً عوقب عليه، فالحبُّ والرضا يلحقان الإنسان بغيره ممن أحبَّهم، والبغض والسخط يفصلانِه عمَّن أبغضهم، على أن يكون مؤثراً في الإرادة والتصميم والعمل.

ومما تجدر الإشارة إليه أنَّ عاملي الرضا والسخط لا يجريان في السُنَنِ الكونية والاجتماعية[٤١] الأخرى كسُنَّة (الإهلاك) مثلاً التي تختص في الدنيا فقط دون الآخرة، كما في قوله تعالى: **{وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ}**[٤٢]، وقوله تعالى: **{وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا}**[٤٣]، فالآيتان تَدُلّان على أنَّ العقابَ يَعمُّ الناس جميعاً، مع أنَّ الذنْبَ والمعصيةَ كانتا من طائفة معينة، وهي طائفة الظالمين، وطائفة المترفين، غير أنَّ هذا العذاب في الدنيا فقط.

وكذا الأمر في الخير فلو استسقى قومٌ ونزلَ المطرُ فإنَّه يعمُّ الراضي وغيرَ الراضي، بيْنَما في سُنَّة التعميم فلا تكون الآثار كذلك بل تجري على الراضين فقط دون غيرهم مِمَّن لم يشاركوهم الرضا والسخط، وهذا هو العامل الأساس في هذه السُنَّة الكونية، إذ ليس كلُ رضاً وكلُّ سخطٍ يؤثر في الإرادة ويدفع نحو الفعل.

ثالثاً: تعميم العقاب واشكالية التناقض الظاهري في النصوص القرآنية:

تَحَدَّثَ القرآن الكريم في موارد كثيرة عن استقلالية الإنسان في فعله عن باقي افراد جنْسِه وأنَّه وَحْدَهُ المسؤول عن عَمَلِه خيراً كان أو شراً، قال تعالى: **{قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ}**(٤٤)، قال الشيخ الطوسي: "والمعنى أنَّه لا تَتَحَمَّل نفسٌ إثمَ نفسٍ أخرى، ولا يكون جزاءُ عملِ كلِ نفسٍ إلّا عليها"[٤٥]، ومثلُ ذلك ما قاله السيد الطباطبائي في الميزان: "أي أنَّ كلَّ نفسٍ لا

تعملُ عملاً ولا تكسبُ شيئاً إلّا حُمِّلَ عليها ولا تَزِرُ وازرةٌ وِزْرَ أخرى حتى يُحَمَّلَ ما اكْتَسَبْتْهُ نفسٌ على غيرها ثم المرجع إلى الله وإليه الجزاء بالكشف عن حقائق أعمال العباد"(٤٦).

وهذا القانون جاري في كلِّ الأممِ والمجتمعات، لذا قال تعالى: **{أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى}**(٤٧)، ففي الآية من الوضوح ما يكفي للدلالة على أنْ لا يَحْمل أحدٌ وِزْرَ الآخر، فالله تعالى يجزي من أساء بإساءته ويثيب المحسنين بإحسانهم(٤٨)، فيكون المعنى أنَّ: "ما في صحفهما هو أنَّه لا تَحْملُ نفسٌ إثمَ نفسٍ أخرى، أي لا تتأثَّم نفسٌ بما لنفسٍ أخرى من الإثم"(٤٩)، وما إلى ذلك من الآيات التي تكشف بأنَّ كَسْبَ الفرد ليس له مردود على الهيئة الاجتماعية لا في الدنيا ولا في الآخرة.

كما أن القرآن الكريم تحدث كذلك عن استقلالية كل أمة عن غيرها في كسبها من خيرٍ أو شرٍ ولا تُسأل أمة عما كَسَبَتْ غيرها من الأمم، قال تعالى: **{أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ}**(٥٠)، والآية تجيب عن تَوَهُمٍ دَفَعَ اليهود إلى الاعتماد على أعمال أسلافهم ظانين أنَّهم ناجون بفضل قربِ أسلافهم منه تعالى، فأجابهم القرآن بقوله: **{تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ}**(٥١)، أي لا تعوِّلوا على شيء من اعمال اسلافكم، وفي القرآن الكريم من هذا الباب آيات كثيرة لا يتسع البحث لبيانها، ولا يرى الباحث حاجة إلى نقلها.

وقد يبدو لكلِّ من يتعجَّل قراءةَ النصوص القرآنية أنَّ بين الآيات التي تحصرُ آثار الفعل بالفاعل فحسب، وبين تلك التي تُعَمِّم الآثار على الفاعلين وعلى غير الفاعلين تعارضاً وتناقضاً، لكنَّه في الواقع تعارض بِدْوِيٌّ ظاهريٌّ يرتفع بمجرد الالتفات إلى أنَّ الأصل في العقاب يكون خاصاً، لكن لمّا كان الناس يعيشون في مجتمعٍ واحدٍ كان عليهم أن يتحمَّلوا المسؤولية الجماعية في بناء هذا المجتمع، وَوَضْعِهِ على مساره

الصحيح، وقد مثَّل السيد الطباطبائي لذلك بجسدِ الإنسان الذي يتألف من أعضاء وقِوى عديدة تعطي بمجموعها حقيقَتَهُ الإنسانية، فالعين تُبصر، والأُذنُ تسْمَع، واليدُ تبطش، الرجل تمشي، وكلٌ يلتذُّ بفعله في ضمن التذاذ الإنسان، فإذا كان هذا حال أجزاء الإنسان وهي تسير سيراً واحداً اجتماعياً، فكذلك حال أفراد المجتمع الإنساني إذا تفكروا تفكراً اجتماعياً، فصلاحهم وتقواهم وفسادهم وإجرامهم وإحسانهم وإساءتهم إنَّما هي ما لمجتمعهم من هذه الأوصاف إذا أخذ شخصية واحدة(٥٢).

فالتعصبات المذهبية والقوميَّة تجعل المجتمع يَتَفَكَّر تفكُّراً واحداً، فعندما يصدر الفعل من أحد أفراد المجتمع نتيجة تأثره بدائرته الاجتماعية يُعاقب عليه الجميع، وفي هذا الشأن قال السيد الطباطبائي في الميزان: "وهكذا صنع القرآن في قضائه على الأُمم والأقوام التي ألجأتهم التعصّبات المذهبية أو القومية أن يتفكّروا تفكّراً اجتماعياً: كاليهود والأعراب وعدّة من الأُمم السالفة، فتراه يؤاخذ اللاحقين بذنوب السابقين، ويعاتب الحاضرين ويوبّخهم بأعمال الغائبين والماضين، كلُّ ذلك لأنّه القضاء الحق فيمَن يتفكّر فكراً اجتماعياً، وفي القرآن الكريم من هذا الباب آيات كثيرة لا حاجة إلى نقلها"(٥٣).

وعلى هذا الأساس فإنَّه إذا فَعَلَ الولدُ فعلاً مضراً في دائرته الاجتماعية فلا يُمْكنُ في مثل هذه الحالة أن يؤاخذَ الولدُ وحدَه من دون أن ينسحبَ ذلك الفعل على أبويه؛ لأنَّهما قصرا في توجيهه توجيهاً سلمياً، وأهملا تنشئته تنشئة صالحةً، وفي بعض الأحيان ينسحب فعلُه على عائلته، وقد يتعدى إلى عشيرته، لذا نصَّت الشريعة على أنَّ بعض أفعال الأفراد تتحملها العاقلة، كما هو الحال في ديَّة المقتول، فديَّته لا يتحملها القاتل وحدّه، وإنَّما هي فعلٌ تنعكسُ آثاره على المجتمع، وهذا يدلُّ على أنَّ فعل الفرد لا ينعكس عليه فحسب وإنَّما يكون لمحيطة الاجتماعي نصيب منه، لا سيما إذا قصَّرَ المجتمع في أداء واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، عندها يكون سبباً لنزول العذاب.

المبحث الثاني

(مَوارِدُ جَرْيان سُنَّةِ التَغْمِيمِ في القرآن الكريم والسنة المطهرة)

مدخلٌ:

المتأمل في نصوص الكتاب العزيز يجدُ أنَّ الوجود الاجتماعي عبارةٌ عن وجود كميٍّ لمجموعةٍ من الأفراد، تحْكُمُهم عادات وتقاليد وأعراف وآداب وقوانين معينة، تجعلُ منهم تجمعاً منظماً في بيئة معينة، قال تعالى: **{يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ}**[٥٤]، وقال عزَّ وجلَّ: **{وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا}**[٥٥].

وَيَتَقَوَّمُ هذا الوجود بمقوِّمات عدّة، منها ما هو مادي مثل: الحوائج والمنافع والاشغال، ومنها ما هو معنوي مثل: الأفكار والعقائد والأخلاق، التي تعكس سلطتها على ذلك المجتمع، إذ ليس لأحد أن يعيش في مجتمعٍ ما من دون أن تتمازج حوائجه وأفكاره مع حوائج وأفكار غيره من أبناء جنسه، بحكم أنَّه اجتماعيٌ بالطبع، فالحوائج المشتركة والروابط الفكرية والعقائدية هي الرباط الوثيق بين أفراد المجتمع الواحد التي تجعل منهم كقومٍ ركبوا سفينةً في بحرٍ فصار مصيرهم واحدٌ، فلو أحدث أحدُهم ثقباً في محلِ جلوسه عرَّض الجماعةَ كلَّها للهلاك[٥٦].

غير أنَّ بعضاً من النصوص القرآنية تقرِّرُ أنَّ ثمَّة معنىً آخر للمجتمع أو الأمة تحديداً، هذا المعنى يَتَمَثَّل: في أنَّ الأمَّة لا تساوي تجمع كمي بين الناس، وإنَّما هي حياة اجتماعية تمثِّلُ حالةً كيفيَّةً، ومعنى ذلك أنَّها تتحرَّرُ من قيود الزمان والمكان، قال تعالى: **{إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ}**[٥٧]، وقال سبحانه: **{إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتقُونِ}**[٥٨].

ومن هذا المنطلق فإنَّ القرآن الكريم يُقَرِّر أنَّ نتائج أفعال أمَّةٍ ما تنعكس على غيرها من الأُمم، حتى وإنْ لم يجمعهم الزمان والمكان، نتيجة لجريان سُنَنَه في خلقه، الأمر الذي يدلُّ أنَّ هناك ترابطاً وثيقاً بين المجتمع البشري وبين السُنَن التاريخية والكونية، التي تتمايز فيما بينها من حيث الخصائص والأبعاد، فإنَّ منها ما لها بعداً عالمياً

يتجاوز حدود الزمان والمكان مثل: سُنَّة (التعميم)، ويجري بعدها العالمي في موارد معينة سيتناولها البحث تباعاً:

المورد الأول: شمولية الإدانة وتحمل المسؤولية:

تُوجَدُ في القرآن الكريم مجموعة من الآيات تُفيدُ أنَّ فعلَ الفردِ أو الجماعة ينعكس على الهيئة الاجتماعية بأسرها، بل يتعدى ذلك الأثر إلى الأمم التي لا يحصرها الزمان ولا المكان، ومن تلك الآيات قوله تعالى: **{وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ}**[٥٩]، ففي الآية المباركة تَجَلِّ واضح لسُنَّة التعميم، إذ تُبيِّن انعكاس آثار الفعل على الهيئة الاجتماعية بمعناها الكيفي، فلا يَخْتَصُّ بالعاملين أو الحاضرين فحسب، وإنَّما يجري على الحاضرين والغائبين على حدٍّ سواء، لذا قال السيد صاحب الميزان: "فإن ظاهرَ معناهُ أينما وجدَهُم المؤمنون أي تسلطوا عليهم وهو إنما يناسب الذلة التشريعية التي من آثارها الجزية فيؤول معنى الآية إلى أنهم أذلاء بحسب حكم الشرع الاسلامي إلا أن يدخلوا تحت الذمة أو أمان من الناس بنحو من الأنحاء".[٦٠]

ومن الآيات الأخرى التي تُعمِّم الإدانة والمسؤولية قوله تعالى: **{لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّى يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ}**[٦١]، والملاحظ أنَّ الآية المباركة تُعمِّم مسؤولية قتل الأنبياء على من كان حاضراً في عهد رسول الله k على الرغم من الفاصلة الزمنية التي باعدت بين هؤلاء واسلافهم، قال الإمام الصادق : "وكان بين الذين خوطبوا بهذا القول وبين القائلين خمسمائة عام، فسماهم الله قاتلين برضاهم بما صنع أولئك"[٦٢].

فالرضا والسخط كما بيَّنّ البحث هو العامل الأساس في تعميم الفعل، فعن سُماعة قال: "سمعت أبا عبد الله يقول في قول الله: **{قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ}** وقد علم أن هؤلاء لم يقتلوا

ولكن فقد كان هواؤُهم مع الذين قتلوا فسمّاهم الله قاتلين لمتابعةِ هوائهم ورضاهم لذلك الفعل"[٦٣]، ولم يجمعهم بهم مكان ولا زمان، لكن جرت فيهم سُنَّة إلهية تخطَّت حدود الزمان والمكان وجعلت منهم أمة واحدة، على الرغم من أنَّهم كانوا في عهد رسول الله k ولم يقتلوا نبياً بحكم عدم وجود نَبِيٍّ في زمن محمد k، قال العياشي: "وإنَّما نزلَ هذا في قوم يهود وكانوا على عهد محمد k لم يقتلوا الأنبياء بأيديهم ولا كانوا في زمانهم، وإنَّما قتل أوائلهم الذين كانوا من قبلهم فنزلوا بهم أولئك القتلة فجعلهم الله منهم وأضاف إليهم فعل أوائلهم بما تبعوهم وتولوهم"[٦٤].

المورد الثاني: شمولية العقاب:

تقدَّم في مبحث سابق أنَّ الأصل في العقاب أن يكون فردياً، لكن إذا صار المجتمعُ يَتَفكرُ تفكراً جمعياً، وأصبح شعوره وتفكُّره مؤثراً في الإرادة الفردية، وباعثاً نحو الفعل، صار الذنب ذنباً اجتماعياً، وأُعْمِلت فيه سُنَّةٌ ربانيَّة هي سُنَّة (التعميم)، فلا يقتصر جريانه حينئذٍ على تعميم الإدانة والمسؤولية فحسب، وإنّما تجري في العقوبة أيضاً، قال تعالى: **{وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ}**[٦٥]، فالآية تذكرُ جملَةً من العقوبات التي عُوقب بها بنو اسرائيل، وهي: الذُل، والمسكنة، والبوءُ بالغضب الإلهي، وهذه العقوبة لا تختص بالفاعلين فحسب وإنما هي جارية على الحاضرين والغائبين معاً بموجب سُنَّة إلهية.

فليس من شكٍّ أنَّ هذه العقوبة تَشْمَل أجيال اليهود حتى في زماننا هذا، بدلالة قوله تعالى: **{ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا}**، أي في أي زمان وجدوا، وفي أي مكان حلّوا أو نزلوا، فالذِّلة والمسكنة "لا زالتا مشهودتين حتى اليوم عند جَمْعٍ من هؤلاء القوم، ولا زالتا سبباً لشقاوتهم وطيشهم وتعاستهم"[٦٦]، وبدلالة ما حكته سورة البقرة عن تَعَنُّت اليهود وكفرهم وعنادهم حتى قال فيهم القرآن: **{ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ}**[٦٧]، وليس من ريبٍ بأنَّ المخاطبين بهذه الآية هم اليهود الذين عاصروا

النبي k بقرينة سياق آيات سورة البقرة، وبقرينة ضمير الخطاب في قوله: **{ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ}** وهو خطاب للحاضر دون الغائب، لأنَّ المخاطبين بهذه الآية هم استمرار لأولئك القوم الذين قاموا بقتل الأنبياء ﷺ، وهذا يؤيد بنسبةٍ كبيرة ما ذكره سابقاً: من أنَّ الأمَّة من منظور قرآني هي من مَقُولة الكيف لا مِنْ مَقُولة الكَمِّ، لذا قال الشيخ مطهري في نسبة القتل لمن عاصر رسول الله ﷺ: "بل هم قومٌ واحدٌ بلحاظ الروح الاجتماعية، ومن هنا قيل إنّ البشرية تتشكّل من الأموات أكثر من تشكّلها من الأحياء"(٦٨).

المورد الثالث: شمولية الثواب وحسن الجزاء:

قد عرفنا أنَّ سُنَّة التعميم تجري في العقوبة فإنَّها تجري في الثواب أيضاً؛ لأنَّ الرضا هو الذي يجمع بين من باعدتهم الأزمنة أو الأمكنة فيجعل منهم أمةً واحدةً، والسخط وهو من يُفَرِّق ويشطر حتى أفراد الأسرة الواحدة، قال تعالى مخاطباً نوحاً : **{قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ}**(٦٩)، والآية كما نرى تَقْطَعُ روابط الأبوَّة والبُنُوَّة، وتنفي أيَّ أثر لرباط القرابةِ بعد أن قَطِع رباطُ الدين كلّ وشيجةٍ بينهما، فصار الولد اجنبيٌ عن أبيه.

ويُعدُّ تعميم الثواب باباً من أبواب رحمة الله تعالى فتحها لعباده ليُشرِكهم في ثواب أعمال الأولياء والصالحين من جهادٍ، وأمرٍ بمعروف ونهيٍ عن منكرٍ، ودعوةٍ إلى الله تعالى وإلى رسوله، ومن ركوعٍ وسجود، وتضرعٍ إلى الله تعالى، وما إلى ذلك من معالم الدين، "وهذا العنصر له أهمية بالغة في المذهب الأخلاقي في الإسلام دون أن تَجِدَ له أثراً يُذكرُ في المذاهب الأخلاقية المادية الأخرى، ولم يكتف الإسلام بذلك بل جعل النيَّة الخالصة مكان العمل إذا لم يكنْ الناوي قادراً على القيام به"(٧٠)، فقد روي أنَّ علياً لما أظفره الله تعالى بأصحاب الجمل قال له بعض أصحابه: "وددت أنَّ أخي فلاناً كان شاهدنا ليرى ما نصرك الله به على أعدائك فقال : أهَوَى أخيك معنا(٧١)، قال: نعم، قال: فقد شَهِدَنا، ولقد شَهِدنا في عسكرنا هذا قومٌ في أصلاب الرجال وأرحام النساء سَيَرْعُفُ بهم الزمان ويقوى بهم الإيمان"(٧٢).

وقد وردت أمثلة كثيرة في السُنَّة المطهرة لأئمة أهل البيت تُعمِّمُ الثواب وتشركُ الراضي بثواب الفاعل، فقد ورد في زيارات الأئمة : "فنحن نُشْهِدُ الله أنّا قد شاركنا أولياءكم وأنصاركم المتقدِّمين في إراقة دماء الناكثين والقاسطين والمارقين وقتلة أبي عبد الله سيِّد شباب أهل الجنة يوم كربلاء، بالنيَّات والقلوب، والتأسُّف على فوت تلك المواقف التي حضروا لنصرتكم"(٧٣).

وتأسيساً على ما تقدَّم يمكن القول بأنَّ سُنَّة التعميم تتجاوز شمولية الإدانة وتحمُّل المسؤولية، وتتجاوز شمولية العقاب، وشمولية الثواب وحسن الجزاء، لتتعدى فتنسب إلى الغائبين الحضور ومشاهدة المكان الذي وقع فيه الفعل، الذي تفصلهم عنه المسافات من السنين والدهور، وهذا المورد يعدُّ من أعلى مراتب هذه السُنَّة، ومن أجلى مصاديقها.

المورد الرابع: شمولية الحجة والبيِّنة:

تقدَّم في ما مرَّ من البحث أنَّ الله تعالى نَسَبَ لليهود المعاصرين لرسول الله k فعل أسلافهم، وعمّهم بالإدانة والمسؤولية، والعقاب بفعل سُنَّة ربانية، غير أنَّ هذه السُنَّة لم تقف عند هذه الموارد فحسب، بل جرت في تعميم الحجة وإقامة البيِّنة أيضاً، ففي الوقت الذي دعا رسول الله k اليهود إلى الإيمان به وبدعوته واجهوه بالرفض، متعلِّلينَ بأنَّ الله تعالى عَهِدَ لهم بأن لا يؤمنوا لنبيٍّ إلا إذا جاءهم بقربان تأكله النار، وقد حكى الله تعالى ذلك على لسانهم بقوله: **{ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّى يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ}**، فحاجَجَهم تعالى على لسان نبيِّه بحجَّةِ أنبيائهم، فقال تعالى:**{قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ}**، فالباري جلَّ وعلا يأمر نبيَّه بأن يُلْزِمهم الحجَّة ذاتها التي أحتجَّ بها أنبياؤهم على أسلافهم من قبلُ.

وفي مورد آخر يقول تعالى: **{وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آَمِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ}**(٧٤)، "أي قل يا محمد لهم فلم قتلتم أنبياء الله وقد حرم الله في الكتاب الذي أنزل عليكم قتلهم، وأمركم فيه باتباعهم، وفرض عليكم طاعتهم

وتصديقهم **{إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ}** بما أُنِزل عليكم"[٧٥]، ففي الآية دلالة واضحة على أن الإيمان بأيِّ كتاب من الكتب السماوية لا يصح ما لم يحصل الإيمان بما سواه من الكتب المنزلة على جميع الأنبياء ﷺ التي هي مثله في اقترانها بالمعجزة والحجَّة البالغة[٧٦]، وعلى هذا الأساس كان رسول الله k يحتج على اليهود المعاصرين له بمثل ما احتج به أنبياؤهم ﷺ، ويُلزِمَهم ذات الحجَّة التي وردت في كُتُبهم إن كانوا يؤمنون بها حقاً، فقال تعالى: **{وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ}**[٧٧]، فالآية تطرح وثيقة إدانة مفعمة بالاحتجاج على اليهود المعاصرين لرسول الله k وتُشير إلى اعرضهم عن بينات موسى وانصرافهم نحو عبادة العجل[٧٨].

نَخْلُصُ ممّا تقدم إلى أنّ سُنَّة التعميم واحدةٌ من أبرز السُنَنِ الإلهية التي تَحكُم نواميس البشرية، وتَعْمَل على تماسك أجزاء المجتمع، وكذلك على تفرقته، نظراً لوجود عنصري الرضا والسخط اللذان يعملان على تكوين مجتمع على نحو الكيف، فتجري حينئذٍ فيهم هذه السُنَّة الإلهية وتنطبق على آخرهم كما تنطبق على أولهم.

الخاتمة

في خاتمة المطاف يُمْكِنُنا القول: إنَّ لدراسة السُنَنِ الكونيَّة والتاريخية أهميَّتُها العلمية؛ لأنَّها تَمْنَح الإنسانَ القُدْرَةَ على تحليلِ الأحداث، وقراءَةِ المُستَقْبَل، وتَقْييمِ الواقع تقييماً علمياً عندما يطَّلع على طبيعة الترابطِ الوثيق بينَ المجتمعات البشرية والسُّنَنِ الربّانيَّة في القرآن الكريم، وقد خَلُصَ الباحث من دراسة: (سُنَّةُ التَّعميمِ وَموارِدُ جريانها في القرآنِ الكريم والسُّنةِ المُطَهَّرةِ) إلى جُملَةٍ من النتائج:

١. تبيَّن للباحث أنَّ مفهوم السُنَّة في اصطلاح العلماء له معانٍ عدَّة، فَبعدَ أن تَنَوَّعت العلوم وَتَشَعَّبت الأبحاث برزت لها تعريفات عديدة تُحدِّدُ الغرضَ في كلِّ اتجاه علمي، فَعَرَّفها العلماء كلٌ بحسبِ حاجته وغرضه منها في أبحاثه.

٢. رَصَدَ الباحث أنّ لفظ (سُنَّة) وَرَدَ في القرآن الكريم بصيغٍ مختلفة، فجاء بصيغة المُفْرَدِ أربعةَ عشرَ مرَّة، وبصيغة الجَمْعِ مرَّتَينِ، وبصيغة المضاف والمضاف إليه عشرُ مرّات تسعةٌ منها مضافة إلى الله تعالى، وواحدةٌ مضافةٌ إلى الرسل ﷺ، وبصيغة النَكَّرةِ مرَّةً واحدةً.

٣. وَجَدَ الباحثُ أنَّ الرضا الباطني في بعضِ الأفعال، والارتباط بها عاطفياً ينزل الراضي بمنزلة الفاعل وإنْ كان الراضي أمةً أو أُممٌ متفرقة، فالرضا يُلْحِقُ الإنسانَ بغيره من الأمَمِ مِمَّن أحبَّهم، والبغضُ والسَخَطُ يَفْصِلُه عمَّن أبغضهم ولو كانوا من أهل بيته.

٤. اتَّضَحَ للباحث أنَّ مطلق الرضا والسخط لا يكون مقياساً لوحدةِ المصير في المجتمعات من دون النظر إلى مساحة تأثيره في الإرادة والتصميم والعمل، فمُجَرَّد الرضا بالفعل القبيح مثلاً لا يعدُّ ذنباً ما لم يَكُنْ مؤثراً في إرادة المجرم في دائرته الاجتماعية.

٥. انكشف للباحث أنَّ ثمَّة آيات في القرآن الكريم تُقرِّر أنَّ الوجود الاجتماعي من مَقُولَةِ الكمِّ، بمعنى أنَّه عبارة عن وجود كميٍّ لمجموعةٍ من الأفراد، تحْكُمُهم عادات وتقاليد وأعراف وآداب وقوانين معيَّنَة، بَيْدَ أنَّ ثمَّة آيات تقرِّرُ أنَّ الأمَّة من مقولة

الكيف وعلى هذا تكون الأمَّة عبارة عن حياة اجتماعية تمثِّلُ حالة من التمازج بالأفكار والعواطف والمشاعر.

٦. خلُصَ الباحث إلى أنّ سُنَّة (التعميم) تتَحكُم بنواميس المجتمعات البشرية، فتجري فيهم بمواردَ عدَّة، فهي تجري في تعميم الإدانة والمسؤولية، وفي تعميم العقاب والثواب، وفي الحضور والمشاهدة، كما أنّها تجري في تعميم الحجة وإقامة البيِّنةِ.

الهوامش:

(١) العنكبوت، ٤٠.

(٢) التوبة، ٣٨، ٣٩.

(٣) الانعام، ١٣٣.

(٤) الحج، ٤١.

(٥) ال عمران، ١٣٧.

(٦) (ذو الرمة): هو غيلان بن عقبة بن بهيس مضري النسب، ترجمة في كتاب: طبقات فحول الشعراء، ١٢١ـ ١٢٥، وكتاب الأغاني لأبي الفرج الاصفهاني، ١٦/ ١٠٦، وكتاب سير اعلام النبلاء للذهبي، ٥/ ٢٦٧.

(٧) وهو أبو المصبح، عبد الرحمن بن عبد الله بن الحارث الهمداني، ترجم له صاحب كتاب: الاكليل، ١٠/٥٨، والذهبي في: سير اعلام النبلاء، ٤/١٨٥.

(٨) مفردات غريب القرآن، الراغب الاصفهاني، ٢٤٥.

(٩) ظ: لسان العرب، ابن منظور، ١٣/٢٢٥.

(١٠) الأبيات للشاعر أبي ذؤيب الهذلي، واسمه: خويلد بن خالد، ترجم له الذهبي في: سير اعلام النبلاء، ٣/ ١٦١.

(١١) ارشاد الفحول، الشوكاني، ٣٣.

(١٢) التعريفات، الجرجاني، ١٦١.

(١٣) ظ: الإحكام في أصول الأحكام؛ الآمدي، ١/ ١٢٧، ظ: إرشاد الفحول؛ الشوكاني، ٣٣.

(١٤) السُّنَّة ومكانتها في التشريع، مصطفى السباعي، ٥٧.

(١٥) النساء، ٢٦.

(١٦) ال عمران، ١٣٧.

(١٧) ظ: القاموس المحيط، ٤/ ١٥٥، مختار الصحاح، الزبيدي، ٢٣٨.

(١٨) ظ: القاموس المحيط، الفيروز آبادي، ٤/١٥٤.

(١٩) لسان العرب، ابن منظور، عمم.

(٢٠) ظ: كتاب الكليات، الكنوي، ٦٠١.

(٢١) ظ: المعجم الشامل لمصلحات الفلسفة، عبد المنعم الحفني، ١٥٠.

(٢٢) معجم مصطلحات المنطق، جعفر باقر الحسيني، ٢٠٧.

(٢٣) المصدر نفسه، ٢٠٧.

(٢٤) المصدر نفسه، ٢٠٧.

(٢٥) ظ: مشكاة الأنوار في غرر الأخبار، الطبرسي، ١٢٥.

(٢٦) المجادلة، ٢٢.

(٢٧) ظ: الانسان والتاريخ، مرتضى مطهري، ٢٤.

(٢٨) ظ: الميزان في تفسير القرآن، الطباطبائي، ٤/ ١٠٢.

(٢٩) الاعراف، ٣٤.

(٣٠) الجاثية، ٢٨.

(٣١) الانعام، ١٠٨.

(٣٢) غافر، ٥.

(٣٣) ظ: الإنسان والتاريخ، مطهري، ٤٢.

(٣٤) نهج اللاغة، محمد عبده، ٢/ ١٨١.

(٣٥) الشعراء، ١٥٧.

(٣٦) ظ: الميزان في تفسير القرآن، الطباطبائي، ١٥/ ٢٠٧.

(٣٧) الشعراء، ١٥٧.

(٣٨) نهج اللاغة، محمد عبده، ٢/ ١٨١.

(٣٩) المصدر نفسه، ٤/ ٤٠.

(٤٠) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ناصر مكارم الشيرازي، ٦/ ٥٩.

(٤١) الفرق بين مفهومي السنن الكونية والسنن الاجتماعية، أنَّ السنن الكونية هي التي تتعلق بالظواهر والأحداث المادية والطبيعة في الغالب، أما السنن الاجتماعية فهي السنن التي تتعلق بسلوك البشر وأفعالهم ومعتقداتهم وسيرتهم في الدنيا.

(٤٢) الانفال، ٢٥.

(٤٣) الاسراء، ١٦.

(٤٤) الانعام، ١٦٤.

(٤٥) ظ: التبيان في تفسير القرآن، الطوسي، ٤/ ٣٣٧.

(٤٦) الميزان في تفسير القرآن، الطباطبائي ، ٧/ ٣٩٥.

(٤٧) النجم، ٣٦ ـ٤١.

(٤٨) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ناصر مكارم الشيرازي ، ١٧/ ٢٥٩.

(٤٩) الميزان، ١٩/ ٤٦.

(٥٠) البقرة، ١٣٤،١٣٣.

(٥١) ظ: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ناصر مكارم الشيرازي، ١/ ٣٩٠.

(٥٢) ظ: الميزان في تفسير القرآن، الطباطبائي ، ١٠٦/٤

(٥٣) ظ: المصدر نفسه، ١٠٦/٤.

(٥٤) الحجرات، ١٣.

(٥٥) الفرقان، ٥٤.

(٥٦) ظ: المجتمع والتأريخ، مطهري، ١٥، ١٦.

(٥٧) الأنبياء، ٩٢.

(٥٨) المؤمنون، ٥٢.

(٥٩) البقرة، ٦١.

(٦٠) الميزان في تفسير القرآن، الطباطبائي، ٣/ ٤٨٤.

(٦١) ال عمران، ١٨٢.

(٦٢) وسائل الشيعة، ١٦/ ٢٦٨.

(٦٣) تفسير العياشي، العياشي، ١/ ٢٠٨.

(٦٤) تفسير العياشي، العياشي، ١/ ٥١.

(٦٥) البقرة، ٦١.

(٦٦) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ناصر مكارم الشيرازي ، ١/ ٢٤٨.

(٦٧) البقرة، ٧٤.

(٦٨) الإنسان والتاريخ، مرتضى مطهري، ٢٦، ٢٧.

(٦٩) هود، ٤٦.

(٧٠) رسالة في التحسين والتقبيح العقليين، جعفر السبحاني، ١٥٨.

(٧١) هوى أخيك تعني ميله ومحبته .

(٧٢) نهج البلاغة،

(٧٣) المزار ، محمد بن المشهدي : ٢٩٩.

(٧٤) البقرة، ٩١.

(٧٥) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي، ١/ ٣٠٥.

(٧٦) ظ: المصدر نفسه، ١/ ٣٠٥.

(٧٧) البقرة، ٩٢.

(٧٨) ظ: مختارات من المحاضرات الحسينية، مجمع اهل البيت، ١/ ٤٧٨ ـ ٤٩٠.

ثبت المصادر والمراجع

❖ القرآن الكريم.

١.الإحكام في أصول الأحكام، أبو الحسن سيف الدين علي بن محمد الآمدي (ت ٦٣١هـ)، علَّقَ عليه: عبد الرزاق عفيفي، دار الصميعي، الرياض، ط/١، ١٤٣٤هـ ـ ٢٠٠٣م.

٢.إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، محمد بن علي الشوكاني (ت ١٢٥٥هـ)، ط/١، ١٣٥٦هـ ـ ١٩٣٧م.

٣.الأغاني، علي بن الحسين بن محمد بن أحمد المعروف بأبي الفرج الأصفهاني (ت٣٥٦هـ)، دار إحياء التراث العربي، (د ت).

٤.الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، (د ت).

٥.الانسان والتاريخ، مرتضى مطهري (ت١٣٩٩هـ)، ترجمة: مرتضى الحسيني، وزارة الارشاد الإسلامي، ايران، ط/١، ١٣٥٨هـ ـ ١٩٧٩م.

٦.التبيان في تفسير القرآن، أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي (ت٤٦٠هـ)، تحقيق: تحقيق وتصحيح: أحمد حبيب قصير العاملي، مكتب الإعلام الإسلامي، ط/١، ١٤٠٩. (د ت).

٧.التعريفات، علي بن محمد بن علي الجرجاني، تحقيق: ابراهيم الإيباري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط/١، ١٤٠٥هـ.

٨.تفسير العياشي، محمد بن مسعود العياشي (ت ٣٢٠هـ)، تحقيق: السيد هاشم الرسولي المحلاتي، المكتبة العلمية الإسلامية، طهران، (د ت).

٩. رسالة في التحسين والتقبيح العقليين، الشيخ جعفر السبحاني، ظ/١، ١٤٣٠هـ.

١٠. السُنَّة ومكانتها في التشريع، مصطفى السباعي، دار السلام، ط/١، ١٤٢٩هـ ـ ٢٠٠٨م.

١١. سير أعلام النبلاء، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت٧٤٨هـ)، تحقيق: حسين الأسد، مؤسسة الرسالة، بيروت ـ لبنان، ط/٩، ١٤١٣هـ – ١٩٩٣م.

١٢. طبقات فحول الشعراء، محمود بن سلام الجُمَحيُّ (ت٢٣١هـ)، شرح: محمود محمد شاكر، دار المدني، جدَّة، (د.ت).

١٣. القاموس المحيط، محمد بن يعقوب الفيروز آبادي (ت٨١٧هـ)، تحقيق: مكتب التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف: محمد معيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، ط/٨، ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م.

١٤. كتاب الاكليل في أخبار اليمن وأنساب حِمْيَر، أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني (ت٣٦٠هـ)، تحقيق: محمد بن علي بن الحسن الأكرع، دار الثقافة والسياحة، صنعاء، (د ت).

١٥. كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، محمد علي التهانوي، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ١٩٩٦م.

١٦. الكليات، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي (ت١٠٩٣هـ)، تحقيق: عدنان درويش ـ محمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م .

١٧. لسان العرب، محمد بن مكرم بن على جمال الدين ابن منظور، (ت٧١١هـ)، نسقه وعلق عليه ووضع فهارسه: مكتب تحقيق التراث، مؤسسة التأريخ العربي، بيروت ـ لبنان، ط/٣، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م.

١٨. مجمع البيان في تفسير القرآن، الفضل بن الحسن الطبرسي (ت٥٤٨هـ)، تحقيق: تعليق: لجنة من العلماء والمحققين الأخصائيين، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت ـ لبنا، ط/١، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م.

١٩. المحاسن، أحمد بن محمد بن خالد البرقي، (ت ٢٧٤هـ)، تحقيق: السيد جلال الدين الحسيني، ١٣٧٠هـ.

٢٠. مختار الصحاح، حمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي (ت٧٢١هـ)، ضبط وتصحيح: احمد شمس الدين، : دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط/١، ١٤١٥هـ – ١٩٩٤م.

٢١. مختارات من المحاضرات الحسينية، مجمع أهل البيت ـ العراق، اخراج: محمد صادق الحلفي، ط/٢، ١٤٣١هـ ـ٢٠٠٦م.

٢٢. المزار، محمد بن المشهدي (ت٦١٠هـ)، تحقيق: جواد القيومي الاصفهاني، مؤسسة الافاق، قم المقدسة، ط/١، ١٤١٩هـ.

٢٣. مشكاة الأنوار في غُرر الأخبار، أبو الفضل علي الطبرسي (ق ٧)، تحقيق: مهدي هوشمند، دار الحديث، ط/١، (د ت).

٢٤. المعجم الشامل لمصلحات الفلسفة، عبد المنعم الحفني، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط/٣، ٢٠٠٠م.

٢٥. معجم مصطلحات المنطق، جعفر باقر الحسيني، دار الاعتصام للطباعة والنشر، مصر، ٢٠٠٦م.

٢٦. مفردات غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الاصفهاني (ت٥٠٢هـ)، ط/٢، ١٤٠٤هـ.

٢٧. الميزان في تفسير القرآن، العلامة محمد حسين الطباطبائي، (ت١٤٠٢هـ)، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، (د ت).

٢٨. نهج البلاغة، مجموع خطب الامام علي عليه السلام جمع الشريف الرضي، تحقيق وشرح، محمد عبده، دار الذخائر، قم ـ ايران، ١٤١٢هـ ـ ١٣٧٠ ش.

٢٩. وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، الشيخ محمد بن الحسن الحر العاملي (ت ١١٠٤ هـ)، تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء لتراث، الناشر: مؤسسة آل البيت لإحياء التراث بقم المشرفة، قم المقدسة، ط/٢، ١٤١٤هـ.